قال الجاحظ : فقلت له : إن أمير المؤمنين ابن أمَة [1] ! فقال : أخزى الله من أطاعه ، فقلت : نبي الله إسماعيل ابن أمة ! فقال : لا يقول هذا إلا قَدَرى ! فقلت : وما القدرى ؟ فقال : لا أدرى إلا أنه رجل سوء ! !

وللجاحظ كثير من المضاحيك السائرة والنوادر الذائعة التي نقلها عنه الرواة ؛ فمن ذلك ما رواه أبو بكر بن إسحاق قال : قال لى إبراهيم بن محمود ونحن ببغداد : ألا تدخل على الجاحظ ؟ فقلت مالى وله ! فقال : إنك إذا انصرفت إلى خراسان سألوك عنه فلو دخلت إليه وسمعت كلامه ؟ فدخلت عليه فقدم لنا طبقاً من الرطب فتناولت منه ثلاث رطبات وأمسكت ، ومرَّ فيه إبراهيم فاشرت إليه أن يمسك ! فرمقنى الجاحظ فقال لى : دعه يا فتى فقد كان عندى بعض إخوانى فقدمت إليه الرطب فامتنع فحلفت عليه فأبى ألا أن يبرّ قسمي بثلثمائة رطبة ! !

وقال أبو العيناء : كان الجاحظ يأكل مع محمد بن عبد الملك الزيات فجاؤا بفالوذجة [2] فتولع محمد بالجاحظ وأمر أن يجعل من جهته مارق من الجام ، فأسرع فى الأكل فتنظف ما بين يديه ! ! فقال ابن الزيات : تقشعت سماؤك قبل سماء الناس يا أبا عثمان ؟ فقال الجاحظ : لأن غيمها كان رقيقا ! !

وأدعى إلى الضحك من هذا ما حدث به الجاحظ فقال : كان يحضر الىّ رجل فصيح من العجم فقلت له : هذه الفصاحة وهذا البيان لو ادعيت فى قبيلة من العرب لكنت لا تنازع فيها ، فما جابنى إلى ذلك ! فجعلت أحفظه نسباً حتى حفظه وهذه هذاً ، فقلت له : الآن لا تته علينا ! فقال : سبحان الله ان فعلت ذلك فأنا اذاً دعي ! !

وشبيه بهذا الأعجمى المتفاصح ذلك القاص المتعالم الذى أشار اليه الجاحظ فقال : وكان عندنا قاص أعمى ليس يحفظ من الدنيا الا حديث جرجيس ، فلما أخذفيه بكى واحد من النظارة فقال القاص : أنتم بأى شيء تبكون ؟ ! انما البلاء علينا معاشر العلماء ! !

فالجاحظ لاشك كان رجلا ضُحَكة ضُحَكة ، ومضاحيكه كما قلنا ـ تمثلك اللب ، وتهتاج النشاط ، وتدفع الى الضحك دفعا ...

« له بقية » محمد فهمى عبد اللطيف

(١) يريد به الخليفه المعتصم إذ كانت أمه جارية

(٢) حلوا تعمل من الدقيق والماء والعسل وكأنها المعروفة الآن بالبالوذه

حديث الأزهار

للكاتب الفرنسى ألفونس كار

ترجمة ف . ف

زهرة مقصوفة

ترطّبت أهدابى بدموع الفجر ، ففتحتُ عينى لأوائل أشعة الشمس .

مرت بى عند الصباح غادة استوقفها جمالى فحدجتنى بنظرات الاعجاب فابتسمت لها

وأمرت الغادة يدها الناعمة على وريقاتى فارتعشت ، وأسكرتنى اللذة ، لكنها لم تطل حتى شعرت بعدها بألم هائل اخترق أحشائى ، فأحنيت الرأس ذليلة على غصنى المقصوف

* * *

لِم لَم تقطفنى توبجى ، أيتها الغادة ، لماذا قصفت غصنى فتركتنى بين الحياة والموت ، وقد كان فى إمكانك أن توسدينى نهدك فأرقد عليه بسلام .

إن دمى يسيل ببطء من جرحى المفتوح ، وصقيع الموت يلوّح وريقاتى بالاصفرار . وقد انطبق توبجى منقبضاً على أوجاعه

أتوقف النسيم عن مداعبة الأغصان ؟ إننى لم أعد أسمع لأجنحته عليها حفيفاً . وهل صمتت الأطيار ؟ فقد انقطع عن مسمعى تغريدها .

أين شعاع الشمس ؟ إننى لم أعد أراه . ويلاه ! أخبرننى ، أيتها الرفيقات ، هل تلاشى النور وساد الظلام ؟ .

* * *

لا ، إن الليل لم ينشر أجنحته بعد ، ولكنها أشباح الموت السوداء تنطبق على ، فسوف لا أرى لمعان النجوم فى قبة الفضاء ولا أفتح وريقاتى لاقتبال ندى الفجر

ستتساقط بقاياى مبددة على التراب وترتفع روحى إلى الأعالى تاركة أريجى عالقاً بالأثير .

سوف ينتصب شبحى المتألم بوجهك ، أيتها الغادة ، سوف يثأر لى ضميرك منك ، فتألمين لقسوتك على وإهمالك للضحية البريئة .

* * *

غفر الله لك ، ووقاك من يد تغشاك بالأمل لتتركك فريسة الإهمال . أبعد الله عنك آلام الزهرة المقصوفة ! أيتها الفتاة !